

الغدير

[55] العابدين المختبين ؟ الذين كانوا يستفطعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطيتهم الموائيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافا بعهده ؟ أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال ؟ أو لست قاتل الحضرمي (1) الذي كتب إليك فيه زياد: إنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منه عليكم. هذا حجر وأصحابه، وأما غاية ذلك العبد الصالح والتابعين له بإحسان في مواقفهم كلها فهي النهي عن المنكر الموبق من لعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على سهوات المنابر فكانوا يغبرون في وجه من يرتكب تلکم الجريمة من عمال معاوية وزبائنه الأشداء على إمام الحق وأوليائه، ولم ينقم القوم منهم غير ذلك من عيث في المجتمع، أو إفساد على السلطان، أو شق لعصا المسلمين وكان حجر وهو سيد قومه يقول: ألا إني على بيعتي لا أقيّلها ولا أستقيّلها سماع الله والناس. ويقول ليزيد بن حجة: أبلغ معاوية إنا على بيعتنا لا نستقيّلها ولا نقيّلها، وإنه إنما شهد علينا الأعداء والأطناء. ويقول: ما خلعت يدا عن طاعة ولا فارقت جماعة وإني على بيعتي. ولما أدخل على معاوية سلم عليه بإمرة المؤمنين (2). لم يكن صلاح الرجل وأصحابه يخفى على أي أحد حتى على مثل المغيرة الذي كان من زعانف معاوية الخصماء الألداء على شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام فإنه لما أشير إليه بالتنكيل بحجر وأصحابه قال: لا أحب أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل

(1) يعني شريك بن شداد الحضرمي، كان من أصحاب حجر الذين بعث بهم زياد إلى معاوية وقتل مع حجر. (2) الأغاني 16: 6، تاريخ الطبري 6: 153، الكامل لابن الأثير: 4: 210، مستدرک الحاكم 3: 469، الاستيعاب 1: 357، الإصابة: 1: 315.